اولئك من التجبر والتكبر وان عمل الخبائث كاللواط وبخس المكيال
والميزان والفساد في الارض كما في سورة هود والشعراء وغيرهما
وكان في قوم لوط مع الشرك اتيان الفاحشة التي لم يسبقوا اليها وفي قوم
عاد مع الشرك التجبر والتكبر والتوسع في الدنيا وشدة البطش و
قولهم من اشد منا قوة وفي اصحاب مدين مع الشرك الظلم في الاموال
وفي قوم فرعون مع الشرك الفساد في الارض والعلو وكان عذاب كل امة
بحسب ذنوبهم وجرائمهم فعذب قوم عاد بالريح الشديدة العاتية التي
لا يقوم لها شيء وعذب قوم لوط بانواع العذاب لم يعذب بها امة غيرهم
فجمع لهم بين الهلاك والرجم بالحجارة من السماء وطمس الابصار وقلب
ديارهم عليهم بان جعل عاليها سافلها والخسف بهم الى اسفل سافلين
وعذب قوم شعيب بالنار التي احرقتهم واحرقت تلك الاموال التي
اكتسبوها بالظلم والعدوان واما ثمود فاهلكوا بالصيحة فماتوا في الحال
فاذا كان هذا عذاب هؤلاء وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها
الله اية لهم فمن انتهك محارم الله واستخف باوامره ونواهيه وعقر عبا
ده وسفك دماءهم كان اشد عذابا ومن اعتبر احوال العالم قديما وحديثا
وما يعاقب به من سعى في الارض الفساد وسفك الدماء بغير حق
واقام الفتن واستهان بحرمات الله علم ان النجاة في الدنيا والاخرة للذين
آمنوا وكانوا يتقون قلت وقد يظهر في تخصيص ثمود ههنا
بالذكر دون غيرهم معنى آخر وهو انهم ردوا الهدى بعدما تيقنوه وكا
نوا مستبصرين به قد ثلجت له صدورهم واستيقنته انفسهم فا
ختاروا عليه العمى والضلالة كما قال تعالى في وصفهم واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى وقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة اي حجة

لهم التبصرة

لهم التبصرة والتيقن وان كان جميع الامم المهلكة هذا شانهم فان الله
لم يهلك امة الا بعد قيام الحجة عليها لكن خصت ثمود من ذلك الهدى
والبصيرة بمزيد ولهذا قرنهم بقوم عاد قال فاما عاد فاستكبروا في
الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة ثم قال فاما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى ولهذا امكن عاد المكابرة وان يقولوا لنبيهم
ما جئتنا ببينة ولم يمكن ثمود اذ قد راوا البينة عيانا وصارت لهم بمنزلة
رؤية الشمس والقمر فردوا الهدى بعد تيقنه والبصيرة التامة فكان في
تخصيصهم بالذكر تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه وهذا داء اكثر الها
لكين وهو اعم الادواء واغلبها على اهل الارض والله اعلم

فصل

ومن ذلك قوله تعالى والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر
هل في ذلك قسم لذي حجر قيل جوابه ان ربك لبالمرصاد وهذا ضعيف
لوجهين احدهما طول الكلام والفصل بين القسم وجوابه بجمل كثيرة
والثاني قوله ان ربك لبالمرصاد ذكر تقرير عقوبة الله الامم المذكورة
وهي عاد وثمود وفرعون فذكر عقوبتهم ثم قال مقررا ومحذرا ان ربك
لبالمرصاد فلا يتعلق بذلك دون القسم واحسن من هذا ان يقال
ان الفجر في الليالي العشر من يتضمن افعالا معظمة من المناسك وامكنة
معظمة وهي محلها وذلك من شعائر الله المتضمنة خضوع العبد لربه
فان الحج والنسك عبودية محضة لله وذل وخضوع لعظمته وذلك ضد
ما وصف به عاد وثمود وفرعون من العتو والتكبر والتجبر فان النسك
يتضمن غاية الخضوع لله وهؤلاء الامم عتوا وتكبروا عن امر ربهم وفي
صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل
الصالح فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر قيل يا رسول الله ولا ال